تقديم

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد ،

فهذه دراسة تطبيقية ميدانية لموضوع تحتاجه المكتبة العربية، وهو نمو اللغة عند الطفل، وهو موضوع استهوى أخي الدكتور عطية سليمان، فقدم لنا فيه هذه الدراسة الطيبة، وقد صدرها بمقدمة بيّن فيها أهداف الدراسة ومناهجها ومراحلها .

والدراسة مقسمة على أربعة فصول تعبر عن مراحل نمو اللغة عند الطفل .

أما الفصل الأول فإنه مخصص للمرحلة المقطعية، وقد لاحظ المؤلف خصائص النطق عند الطفل، فتحدث عن ميكانيكية النطق عند الطفل وضعف الذاكرة، وتسمية الشيء بصوته، والجملة التلغرافية، والإدراك اللغوي .

أما الفصل الثاني، فهو خاص بمرحلة الكلمات، و يعالج التطور المرحلي للكلمات، والتفسير الصوتي للظواهر المختلفة في البنية الكلامية عند الطفل .

والفصل الثالث يعالج الجمل وأنواعها المختلفة عند الطفل، وحالات الأصوات والأبنية والدلالة في هذه الجمل .

وأما الفصل الرابع، فهو خاص بالدلالة، وطرق اكتساب الطفل لدلالة المفردات والجمل والعبارات .

ولا شك أن الدراسة اللغوية في حاجة ماسة إلى مزيد من الأبحاث في هذا الميدان الفسيح، ولعل ما قام به أخي الدكتور عطية أن يكون علامة على الطريق .

ولا أملك في النهاية إلا الدعاء الخالص إلى المولى القدير أن يحفظ المؤلف، ويكلأه برعايته، وينفع به إنه سميع الدعاء .

مدينة نصر في

١٤ / ١ / ١٩٩٤

أ. د. رمضان عبد التواب

مقدمة الطبعة الثانية

مضتْ عشرون سنة وأكثر على صدور الطبعة الأولى من كتابي "النمو اللغوي عند الطفل" ومنذ ذلك الحين وأنا أتابع عن كثب كل ما ظهر من الدراسات اللغوية في مجال لغة الطفل؛ آملاً أن أحظى بدراسة ميدانية واحدة لطفل مصري أو عربي أو مجموعة أطفال في عمر شهرين إلى ستة أعوام ـ تكون دراسة لغوية نفسية وصفية تحليلية ميدانية تعايش أطفال تلك المرحلة بشكل شبه يومي، وتستخدم منهجاً أو مجموعة مناهج في تلك الدراسة المنشودة: طولية أو مستعرضة أو غيرهما، فلم أجد إلى ما قصدتُ سبيلاً، وفي الوقت نفسه وجدتُ كثيراً من الدراسات اللغوية المعاصرة قد استعانت بهذا الكتاب كمصدر لمادتهم البحثية، فأدركت مدى الحاجة إلي إعادة طبع هذا الكتاب، فشرعت في طبعه وتنقيحه مرة أخرى؛ عسى أن يكون مرجعاً لمن همَّ بدراسة ما في هذا المجال، وأضفتُ إليه آراء جديدة، وتحليل ظواهر لغوية، ولكن بصورة أكبر، وكذلك أضفت إليه فصلاً جديداً حول أصول بعض الكلمات المستخدمة ضمن لغة الطفل حاولت من خلاله تأصيل بعض كلمات الطفل لمعرفة أصولها: عربية وقبطية ومصرية قديمة، راجياً من الله تبارك وتعالى أن يحظى هذا العمل بالقبول عنده سبحانه؛ وأن ينفع به كل من طالعه، وأن يغفر لنا ما وقع منا فيه من خطأ عن غير قصد، فالكمال له وحده سبحانه وتعالى.

والله من وراء القصد، وهو يهدى السبيل، إنه نعم المولى ونعم النصير.

المؤلف

د. عطية سليمان أحمد

٢٠١٤/١/٩

مقدمة الطبعة الأولى

تعد اللغة مظهراً من مظاهر الرقي البشري الجدير بالدراسة من الباحثين في العلوم الإنسانية على اختلافها، ولهذا ارتبطت دراسة اللغة بعلوم إنسانية أخرى كعلم الاجتماع، وعلم النفس، والفلسفة، وغيرها.

ومنذ نشأت الدراسات اللغوية، وهي تحاول أن تعرف تاريخ اللغة الإنسانية من بدايتها كيف كانت ؟ وكيف تطورت إلى لغات مختلفة ؟ حتى تبين للدارسين أن هذا ضرب من الفلسفة اللغوية، فاتجه الباحثون إلى نشأة اللغة عند الطفل. وفي ذلك يقول ماريوباى:

" كان من الطبيعي أن يلجأ الباحثون إلى دراسة تطور مهارة الكلام عند الطفل منذ مولده، إبان محاولتهم إلقاء الضوء على نشأة اللغة وتطورها. وعندما أجريت هذه التجارب على أطفال أسوياء، في ظروف طبيعية انتهت فيما يتعلق بنشأة اللغة وتطورها- إلى نتائج غير مقنعة ،فكل ما دلت عليه التجارب، هو أن الطفل يحاكى حديث الكبار في المجتمع الذي يعيش فيه [(١)].

بل حاول ثلاثة رجال أن يتعرفوا على أصل اللغات بأخذ بعض الأطفال وعزلهم منذ مولدهم حتى يثبتوا ما إذا كان الطفل يستطيع أن يتحدث بلغة ليست في أصلها مبنية على محاكاة للغة الكبار، وهم: فرعون مصر (بسماتيك) و (فريدرك الثاني) و (جيمس الرابع) ملك اسكتلندا، ولكن يقول فندريس :

"ولما كانت الضوابط العلمية تنقص هذه التجارب الثلاث فلا يمكننا أن نصل إلي نتائج مقنعة على أساسها ،خاصة فيما يتعلق بنشأة اللغات[(٢)] .

---

(١) لغات البشر: ماريوباى، ترجمة صلاح العربي، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ١٩ .

(٢) اللغة: فندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي و د. محمد القصاص، القاهرة، ١٩٥٠م، ص ٣٤ .

ويوضح د. رمضان عبد التواب سبب عدم نجاح لغة الطفل في تفسير نشأة اللغة بقوله وهو ينقض مذهب التطور اللغوي كمذهب من مذاهب نشأة اللغة عند الإنسان:

" إن هذا المذهب الأخير على الرغم ما يبدو فيه من ثوب علمي، فإن فيه كذلك عيباً خطيراً، وهو أنه يتخذ الطفل أساساً لتطبيق مراحل نمو اللغة عند الإنسان الأول، مع أن هناك فارقاً مهماً بين لغة الطفل ولغة هذا الإنسان الأول، وذلك لأن الطفل يكتسب هذه اللغة من أبويه والمحيطين به، وهم لا يملون من ترديد المقاطع التي يتفوه بها الطفل، ويصلحون له أخطاءه حتى يصل إلى مرحلة النضج اللغوي، ولم يكن هذا أمراً متيسراً للإنسان الأول، الذي كان يسير على غير هدى في لغته، لا يجد أمامه من يردد مقاطعه وجمله ليحاكيها ويصل إلى مراحل النضج والإحكام "[1].

ولكن رغم هذه النتائج الخاصة بنشأة اللغة فإنه بات من الضرورة معرفة نشأة اللغة عند الطفل، وتطورها حتى تصل إلى مستوى لغة الكبار، وقد طرق هذا الباب كثير من علماء اللغة في الغرب، وكذلك بعض علماء اللغة العرب، وبعضهم ذكر ملاحظاته حول نشأة اللغة عند الطفل في داخل أبحاث له .

وقد استرعى انتباهي ما قاله الدكتور محمود السعران في كتابه اللغة والمجتمع:

" وأول ما نقرره فيما يتعلق بالسلوك اللغوي للطفل أنه لا توجد حتى الآن دراسة علمية كاملة موثوق بها فيما يتعلق بالسلوك اللغوي للطفل أنه لا توجد حتى الآن دراسة علمية كاملة موثوق بها للغة الطفل قائمة على أساس لغوي، وأكثر ما كتب عن لغة الطفل قائم على أسس

---

(١) المدخل إلى علم اللغة: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط١، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ١٢٢، ١٢٣ .

نفسية، ومن وجهة نظر علم النفس على اختلاف مذاهبه" [1]، ثم يقول عن بحث الأستاذ صالح الشماع:

" وليس هذا البحث محاولة لوصف لغة طفل مصري مثلاً أو تدوين ملاحظات عن لغة مجموعة من الأطفال الذين يتكلمون لغة واحدة، ولكنه أشبه بالعرض لطائفة من أهم النتائج التي وصل إليها جمهرة من دارسي لغة الطفل " [2].

ثم يقول:

" أما ما كتبه علماء اللغة عن لغة الطفل على أسس لغوية فلا يبلغ أن يكون دراسة كاملة إنما هو تخطيط لخير الطرق المؤدية إلى هذه الدراسة، وتدوين لطوائف من الملاحظات" [3].

فكان يأمل أن يجد دارساً يقوم بدراسة ميدانية حتى ولو على طفل واحد مصري دراسة لغوية لا نفسية.

وآمل من الله أن يوفقني لأكون أنا هذا الدارس الذي يحاول أن يقدم دراسة لغوية تحليلية للغة الطفل المصري.

والله ولي التوفيق، ، ،

دكتور عطية سليمان

تربية السويس

١٩٩٣/١١/١١

---

(١) اللغة والمجتمع: د. محمود السعران، دار المعارف المصرية، ١٩٦٣م، ص ٣٥.

(٢) اللغة والمجتمع: ٣٨ .

(٣) اللغة والمجتمع: ٣٩ .

التمهيد :

أحاول في هذا العمل أن أعرض لتطور اللغة عند الطفل ليس من خلال النظريات والآراء المختلفة، فقد مُلِئَتْ كتبُ اللغة، وعلم النفس اللغوي بآراء مختلفة، فكان هذا العمل محاولة للإجابة على عدة أسئلة: كيف نشأت اللغة عند الطفل المصري، أي في اللهجة المصرية ؟ وكيف تطورت لغة هذا الطفل حتى تصل إلى مستوى الحديث اليومي لمجتمعه ؟ إلى جانب سؤال آخر هام نحاول الإجابة عنه، وهو هل لكل جيل ينشأ في المجتمع أثر في لغة مجتمعه، أم أنه في النهاية مكتسب للغة مجتمعه مقلد، ومحاك لهذه اللغة دون إضافة منه، أو ترك بصمة شخصية لهذا الجيل على اللغة في مجتمعه ؟ وإلى أي مدى يختلف أطفال البيئة اللغوية الواحدة في اكتسابهم للغة، وتطورها عندهم ؟

مناهج دراسة لغة الطفل :

كثرت المناهج العلمية لدراسة اللغة عند الطفل وكان أهمها :

١ – **طريقة الملاحظة المباشرة:** أو طريقة الأساليب البيوجرافية Biographic التي بدأت على صورة مجموعة من الملاحظات العارضة لحالات فردية. وهي تعتمد على الملاحظة المباشرة دون استخدام الأدوات والأجهزة، وتقوم حول اكتساب المفردات اللغوية. منذ ظهور الكلمات الأولى عند الطفل إلى أن يصل إلى عامه الرابع أو الخامس. وهى أقدم الطرق .

٢ – **الطريقة الكمية:** وهي تجري الدراسة على عدد كبير من الأطفال، وتقوم بإخضاع العينات الممثلة للأطفال لأنواع من التحليل مثل طول استجابة الطفل، وتعقد تركيب الجملة، ونسبة الأجزاء المختلفة من أقسام الكلام كما درست العلاقة بين هذه التحليلات والسن والجنس ومهن الآباء والعمر العقلي للطفل، وهذه الدراسات الكمية تخضع للمقاييس العلمية.

٣- الطريقة الطولية: وهي التي تتضمن دراسة عدد كبير من الحالات وتتبعها على مدى عمري طويل نسبياً أيضاً، وذلك بدلاً من الأساليب البيوجرافية التي كانت تقتصر غالباً على عدد محدود من الأطفال.

٤- الطريقة المستعرضة: نتيجة للصعوبات التي تكتنف الطريقة الطولية التي تتطلب جهداً ووقتاً من الباحث. كذلك ما قد ينجم من اضطراب نتيجة تخلف بعض الأطفال عن الاستمرار في الدراسة إلى نهايتها، وتقوم الطريقة (المستعرضة) على أساس أخذ عينات من الأطفال من أعمار مختلفة بحيث تعتبر كل مجموعة ذات سن واحد ممثلة للأطفال في مثل هذا العمر، وتمتاز هذه الطريقة بسرعتها في الوصول إلى النتائج ويعتبرها بعض الباحثين مكملة للطريقة الطولية.

تلك هي أهم الطرق التي استخدمها الباحثون في دراسة اكتساب اللغة عند الطفل، يقول د. حلمي خليل:

" لا شك أن تقدم الأجهزة العلمية والآلات الحديثة من تصوير وتسجيل وغير ذلك قد وضع في أيدي الباحثين المعاصرين وسائل أكثر تطوراً، ومع ذلك فما زالت تلك الطرق التي ذكرناها يعول عليها مع ما يقدمه العصر من وسائل حديثة لم تكن بين يدي الباحثين في نهاية القرن الماضي ومطلع هذا القرن، مما أدى إلى كثير من الضبط والدقة في نتائج مثل هذه الدراسات" (١).

أما بالنسبة لهذه الدراسة فقد استخدمت فيها خليطاً من هذه الطرق السابقة: فكانت طريقة الأساليب البيوجرافية عند بدء هذه الدراسة، حيث سجلت ملاحظات فردية حول اكتساب بعض الأفراد البالغين للمفردات اللغوية، فدفعني هذا إلى البحث بدقة في هذا المجال، فاخترت

---

(١) اللغة والطفل دراسة في ضوء علم اللغة النفسي: د. حلمي خليل، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٦م، ص ٣٧.

عدداً من الأطفال لم يكن كبيراً. ثم قمت بتحليل لغتهم، وقمت أيضاً بتتبع مجموعة أخرى قليلة من الأطفال هم أبنائي وأبناء جيراني وأقاربي على مراحل عمرية طويلة، ثم انتقلنا إلى بلدة ثانية؛ فاخترت مجموعة من أبناء الأصدقاء في تلك المراحل العمرية. وقمت أيضاً بأخذ تسجيلات صوتية لمجموعة أخرى في المراحل العمرية نفسها لتوسيع دائرة الدراسة، لتأكيد النتائج التحليلية التي توصلتُ إليها من خلال هذا الدراسة .

إن البحث اللغوي في حاجة إلى من يقوم بدراسة اكتساب اللغة عند الطفل العربي، وذلك من خلال تحليل لغوي لمجموعة من الأطفال، أو حتى على مستوى طفل واحد، أو طفلين؛ لتحديد الخصائص اللغوية لهم دون غيرهم بدرجة تصل إلى القانون الذي يمكن أن يطبق على أمثالهم من أبناء العربية، فقمت بتتبع هؤلاء الأطفال عن قرب شديد وتسجيل وتدوين كل ما يصدر عنهم من أقوال فقط، أو أقوال مصحوبة بأفعال مكملة لهذه الأقوال، وتسجيل الموقف الملابس لهذا القول "فمن الضروري أن يهتم الباحث اهتماماً كبيراً بالظروف والملابسات التي تتم فيها الاستجابة اللغوية، حيث اتضح من الدراسات المختلفة التي طبقت بعض هذه الطرق أن الاختلاف في استجابة الطفل، تكرارها أحياناً يتوقف على السياق أو المقام Context الذي تتم فيه مثل اللعب أو المحادثة أو التعلم، بل لقد اختلفت النتائج أحياناً باختلاف مكان اللعب مثلاً في داخل البيت أو الملعب"[1] ولهذا فقد حددتُ تاريخ صدور هذا القول لمعرفة بداية الظاهرة اللغوية، وتطورها.

مما يمكننا من التأريخ لها على مدى مراحل عمرهم المختلفة، ثم قمت بتفريغ تلك الشرائط، واستخلاص الظواهر اللغوية منها، وتحليلها دون إقحام النظريات في داخل التحليل. بل ترك الدراسة التحليلية للمادة اللغوية المدونة تستخلص الظاهرة وتعممها، فهي دراسة تحليلية ميدانية

---

(١) اللغة والطفل: ٣٧ .

لمجموعة من الأطفال في مراحل عمرية مختلفة بأعداد مختلفة وبيئات مختلفة .

مراحل الدراسة :

لقد بدأتُ هذه الدراسة بتلك المرحلة التي يصبح للغة أثرها في حياة الطفل، وفي حياة من حوله، حيث يمكنهم أن يفهموا شيئاً من حديثه، وحيث يفهم ما يحدث حوله من حوار، ويدرك الكثير من لغة الكبار، وإن لم ينطق بقليل من ألفاظهم، فيستجيب الطفل للنداء عليه، وتركت المراحل التي تسبق الكلام من مرحلة الصياح، والأصوات الساذجة الانبعاثية، وقد قسم علماء اللغة المحدثون مراحل اكتساب اللغة على أقسام تختلف من عالم إلى آخر، وكذلك فعل علماء النفس فقد قدموا الجانب النفسي والعقلي على الجانب اللغوي الخالص، واهتموا - غالباً- بوضع جداول زمنية لتطور اكتساب اللغة عند الطفل دون أن يلتفتوا بصورة دقيقة إلى التطورات اللغوية، وهو ما يستدركه الآن علم اللغة النفسي الذي استفاد بلا شك من الدراسات النفسية في اكتشاف جوانب هامة تصاحب عملية اكتساب اللغة"[1].

ويرى عالم اللغة الإنجليزي فيرث Firth أن تتبع مراحل النمو اللغوي عند الطفل ينبغي أن تكون مرتبطة بالتجارب الهامة التي تمر بها حياته، وهذه التجارب كما يراها فيرث هي :

١- مرحلة المهد: وتبدأ منذ ولادة الطفل إلى ما قبل استطاعته الجلوس.
٢- مرحلة الجلوس: وفيها تبدأ مرحلة الكلام واللعب بالدمى وغيرها.
٣- مرحلة الحبو .
٤- مرحلة السير بمساعدة .
٥- مرحلة السير وحده .

---

(١) اللغة والطفل: ٦٢ .

٦- مرحلة السير خارج المنزل .

٧- مرحلة الذهاب إلى المدرسة .

ويرى فيرث أن كل مرحلة من هذه المراحل لها أثرها في اكتساب الطفل جانباً من جوانب لغة المجتمع الذي يعيش فيه كما تتميز أيضاً بجوانب لغوية مميزة[١].

أما عالم اللغة الدانمركي جسبرسن Jespersen فقد اقترح ثلاث مراحل لدراسة النمو اللغوي عند الطفل، وهي :

مرحلة الصياح .

مرحلة البأبأة .

مرحلة الكلام وتنقسم هذه المرحلة على مرحلتين :

أ- فترة أسماها بفترة اللغة الصغيرة، أي اللغة الخاصة بالطفل، حيث ينفرد الطفل باستعمالات لغوية خاصة به، لا تفهمها إلا أسرته الصغيرة .

ب- فترة اللغة المشتركة، وهي الفترة التي يأخذ فيها الطفل في الخضوع للغة الجماعة التي ينتمي إليها... وكل فترة من هذه الفترات تتميز بخصائص لغوية صوتية وصرفية ونحوية ودلالية" [٢].

١- مرحلة الصياح :

وقد أثار اهتمامنا التقسيم الثلاثي الذي اقترحه جسبرسن Jesperson فاعتمدنا عليه في تقسيمنا. لكي نعرض من خلاله مراحل اكتساب الطفل اللغة، ولكننا تركنا مرحلة الصياح، التي تمتد حتى الأسبوع السابع " مرحلة ما قبل اللغة" وتتمثل في الصياح الذي يصدر عن الطفل " ويرى بعض علماء اللغة أن الصيحات التي تصدر عن الأطفال إنما هي صيحات عامة تكاد تكون واحدة عند جميع الأطفال... أنه هام بالنسبة للطفل من الناحية اللغوية فهو يساعده على التحكم في أجهزة النطق

---

(١) اللغة والطفل: ٦٣ .

(٢) اللغة والطفل: ٦٤ .

وتدريبها، كما يساعده على تنمية قدراته السمعية كما يكتسب خبرات نطقية وسمعية تساعد بعد ذلك في مرحلة الكلام "[1].

وقد تركناها رغم أهميتها اللغوية بالنسبة للطفل لأنها تدرب جهازه الصوتي، والسمعي فقط، ولكنها لا تنتج لنا لغة يتفاعل بها مع مجتمعه، كما أنه لا يكون الهدف منها التواصل، ولا يمكن استقبالها، ومع ذلك يعتبرها بعض الباحثين وسيلة للتعبير عما يصيب الطفل من آلام، أو حاجة إلى الطعام، والحقيقة أنها ليست لغة، وحتى من هذا الجانب فهي قرينة شرطية فقط، كالقرينة الشرطية المستخدمة في علم النفس للدلالة على حضور الطعام لحيوان التجربة (تجربة بفلوف الجرس المصاحب لتقديم الطعام) فيسيل لعاب الكلب عند سماع القرينة الشرطية، ولكن لا يستطيع أحد أن يعتبر صوت الجرس المصاحب لتقديم الطعام لغة تقول لهذا الحيوان (جاء الطعام)، ولهذا لم نضع هذا في إطار دراستنا .

٢ - مرحلة البأبأة :

تبدأ من الأسبوع السابع أو الثامن حتى نهاية السنة الأولى من عمر الطفل تقريباً، وتسمى مرحلة ما قبل اللغة، وأول صوت يظهر فيها هو صوت الميم، ثم يتبعه صوت الباء ؛فيتكون من ذلك كلمة (ماما)، و(بابا)، و(بوبو)، وفي نهاية هذه المرحلة يكون الطفل قد تمكن من نطق عدد كبير من الفونيمات مكوناً منها سلاسل طويلة من مقطع واحد، والشائع أن أول ما ينطق به الطفل يكون غالباً من الصوائت المفردة أو الصوائت يسبق كل منها صامت .

ويرى بعض علماء اللغة أن فكرة التقليد في هذه المرحلة لا تقوم على درجة كبيرة من التفكير الواعي، وأن السبب الحقيقي في نطق الطفل

---

(١) اللغة والطفل: ٦٨ .

لبعض الفونيمات، أو المقاطع أن العضلات الشفوية المستخدمة عادة في نطق مثل هذه المقاطع، أو الفونيمات هي نفس العضلات التي دربها الطفل في الرضاعة من ثدي أمة أو من زجاجة، ومن ثم أصبح تحكمه فيها أكبر وأقوى، كما يرى بعضهم أيضاً في هذا محاولة لاكتساب النظام الفونيمي للغة التي يسمعها الطفل حتى يستبعد شيئاً فشيئاً الأصوات التي لا تنتمي إلى هذا النظام [1] .

الجاحظ وأول أصوات يصدرها الطفل :

لقد كان الجاحظ أول من اكتشف أن الطفل يبدأ بنطق الباء والميم، وذكر سبب البدء بنطق هذين الصوتين دون غيرهما من أصوات اللغة يقول الجاحظ (والميم والباء أول ما يتهيأ في أفواه الأطفال، كقولهم ماما وبابا، لأنهما خارجان من عمل اللسان، وإنما يظهران بالتقاء الشفتين، وليس شيء من الحروف أدخل في باب النقص والعجز من فم الأهتم، من الفاء والسين إذا كانا في وسط الكلمة) [2].

ونستنتج من كلام الجاحظ :

(١) أن الميم والباء أول ما ينطق به الطفل ؛ ويظهر هذا في كلمتي بابا وماما ، والغريب أن أطفال العالم - تقريبا - يفعلون ذلك عند بداية كلامهم على اختلاف لغاتهم، وقد أثبت ذلك د. أحمد هريدي في بحث له على نطق مجموعة من أطفال ينتمون إلى لغات مختلفة .

(٢) أن الميم والباء أصوات شفوية تخرج بعيداً عن عمل الجهاز الصوتي للطفل بكل تعقيداته، وما يحتاجه من مهارات لغوية مختلفة لم يكتسبها الطفل بعدُ .

(٣) أراد الجاحظ بكلمتي بابا وماما ما ينطق به الطفل المعاصر له وفى بيئته الذي ربما يختلف عن نطق الطفل في عصرنا لهاتين الكلمتين،

---

(١) اللغة والطفل: ٧١، ٧٢ .

(٢) البيان والتبيين: الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، الخانجي، القاهرة، ١٩٥٠م، ص١/ ١٦٢ وانظر كتاب الجاحظ والدراسات اللغوية، د.عطية سليمان، مكتبة زهراء الشرق ١٩٩٥م، ص٢٣.

وهنا يصبح التشابه نتيجة الخط فقط، وهذا ما نلاحظه من اختلاف الأطفال في عصرنا في نطق الكلمتين السابقتين للاختلاف لغاتهم الأم ولهجاتهم وبيئاتهم، هذا ما لم نستطع استخلاصه من النص .

(٤) ربط الجاحظ بين نطق الأهتم والطفل لأن كل منهما لا يملك الأسنان التي يكون لها أثر كبير في نطق الأصوات، وما قام به الجاحظ هنا من ربط بين الطريقتين في النطق يوضح أن الجاحظ كان يفكر في كل ما ينطق به الطفل من حوله، ويحاول أن يربط بينه وبين ما يشابهه من نطق البالغين، ثم يحاول أن يفسر كل ما يلاحظه من فروق .

إن الأطفال في عصر الجاحظ – كما هم في عصرنا وفي كل العصور وكل اللغات – أول ما ينطقون به من الأصوات هو الميم والباء كما يقول الجاحظ، وكما أثبتت ذلك الدراسات اللغوية الحديثة، ثم مع تفاعل هؤلاء الأطفال مع لغة مجتمعهم ونموهم اللغوي والفسيولوجي والعقلي؛ يبدأ كل طفل في اكتساب اللغة الخاصة بمجتمعه .

وهذه المرحلة لا يوجد بها لغة كما حددنا معناها في المرحلة السابقة، لهذا لم نرد أن نبدأ الدراسة منها، بل يكفي أن نشير إلى ما يظهر فيها من كلمات بسيطة، وهي كلمة (ماما، بابا)، وهي مكونة من مقطع واحد طويل مفتوح: ص + ح + ح .

٣- مرحلة الكلام :

أو مرحلة استعمال اللغة Usage Language كما يسميها بعض علماء اللغة، أو مرحلة النمو اللغوي، وهي تبدأ من حوالي نهاية السنة الأولى من عمر الطفل، وتمتد سنوات طويلة. فقد اتفق على هذه البداية لها علماء اللغة وعلماء النفس، ولهذا قسموها على مرحلتين، تشتمل كل مرحلة منهما على فترات متغايرة، ومتمايزة من الناحية اللغوية، ومنهم جسبرسن فأطلق على الأولى اسم فترة اللغة الصغيرة، أما الثانية فقد سماها فترة

اللغة المشتركة، ويقول عن هذا التقسيم الدكتور حلمي خليل " ولا شك أن هذا التقسيم أدق وأيسر على الأقل من الناحية اللغوية، ولكن الواقع أن الطفل في اكتسابه اللغة يمر في كل فترة من هاتين بظروف كثيرة متغايرة يمكن في دراسة أوسع، وأكثر تفصيلاً اعتبارها مستقلة " وهذا القول جعلنا نعيد النظر في هذه المرحلة الأخيرة، وجعلها بداية الدراسة اللغوية لنمو اللغة عند الطفل، فقد بدأنا بهذه المرحلة حيث تصبح للغة الطفل أهمية في مجتمعه يؤثر فيه، ويتأثر به .

وجاء تقسيمنا لهذه المرحلة غير تقسيم جسبرسن السابق لها حيث قسمناها على أربع فترات أو مراحل لغوية مختلفة :

أولاً: المرحلة المقطعية: تبدأ من عمر عام إلى عامين، حيث يتألف كلام الطفل فيها من مقطع واحد مفرد أو مكرر، ويكون هذا المقطع اسماً أو فعلاً أو ظرفاً أو صفة. فهو يحول كل كلمة يسمعها إلى مقطع واحد، ويفهم مجتمعه الصغير (أسرته) مقصده من هذا المقطع .

ثانياً: مرحلة الكلمة الجملة : تبدأ من عامين إلى عامين ونصف، حيث يصبح الطفل قادراً على النطق بمقطع أطول، وكذلك النطق بكلمة مكونة من عدة مقاطع صغيرة. ثم يصل بعد ذلك إلى ما يسمى بالجملة ذات الكلمة الواحدة أو الكلمة الجملة، فهو ينطق بكلمة يعبر بها عن جملة مثل (ماما) ويشير إلى الشيء يقصد بها (يا ماما هات هذا الشيء) أو يكوّن من جملة "كلمة" عبارة عن عدة مقاطع مأخوذة من كل كلمات الجملة ليكوّن بها كلمة تنوب عن الجملة .

ثالثاً: المرحلة التركيبية: تبدأ من عمر سنتين ونصف إلى ثلاث سنوات، ونجد أن الطفل هنا يستطيع أن يكوّن جملة بسيطة من كلمتين، ثم تتطور في نهاية المرحلة لتصبح جملة من خمس كلمات، ولكن خصائصها التركيبية تدل على عدم الدقة في تكوينها، وحاجتها إلى توجيه وتصحيح من الوسط الذي يعيش فيه باستمرار .

رابعا: مرحلة اكتمال الدلالة: وتبدأ من ثلاثة أعوام إلى ستة أعوام أو أكثر من عمر الطفل، حيث يستطيع الطفل إنتاج أصوات وكلمات وجمل صحيحة كالكبار، ولكن تنقصها الصحة الدلالية، فالطفل يظل يصوب من دلالة عباراته حتى بعد ذهابه إلى المدرسة .

ونحاول في هذا البحث دراسة هذه الفترة دراسة أوسع، وأكثر تفصيلاً باعتبارها مراحل مستقلة كما يقول د. حلمي خليل على: على المستوى الصوتي والبنائي والتركيبي والدلالي[1] .

❖❖❖❖❖

(١) اللغة والطفل: ٧٥ .